

## الشاعر الناقد يوسف وغليسي لـ: عمان

رياح العولمة تقودنا إلى عالم إبداعي جديد تسوده " كتابه " جديدة

في ملتقى "السيميائ والتص الأدبي" الذي دارت فعالياته في جامعة محمد خيضر بـ: بسكرة بوابة الصحراء الشرقية الجزائرية. التقيت بالشاعر الناقد الدكتور يوسف وغليسي فطرحت عليه جملة من التساؤلات الإبداعية والنقدية فاختر الإجابة عن بعضها وتحفظ على أخرى، وله الحق في حرية الاختيار.

س- فزت بالعديد من الجوائز، آخرها جائزة (الجاحظية)...

حدثنا عن تجربتك مع الجوائز الأدبية، وهل ترى القوائد الفائزة في مسابقة ما قصائد مناسبة؟! ... .  
-يلقبني بعضهم ب «حصاد الجوائز»، وما خطر ببالي أن أصبح كذلك.. «لقد حصدت» نحو 20 جائزة وطنية ودولية، منها جائزة سعاد الصباح(1995)، وجائزة مفدي زكريا المغربية(2005)، وجائزة وزارة الثقافة (08مرات كاملة، تأثرت تارة في الشعر وأخرى في النقد)، وقد رشحتي المعهد الأمريكي للبيوغرافية(A b i) -رفقة من رشحهم في الأشهر الأخيرة-لنيل الميدالية العالمية للحرية(2006)، ولست مهتما كثيرا بذلك.  
فلسفة الجائزة-في عالمي الخاص- تعينني دائما إلى دلالاتها الأولى، إلى اشتقاقاتها المعجمية التي تستمد من حكاية ذلك الأمير الذي جلس على ضفة نهر وراح ينادي أنداده على الضفة المقابلة بنبرة من التحدي: من جاز هذا النهر فله كذا، وكان كلما عبرَ أحدهم النهر أخذ "جائزة" لقد لفت انتباهي وأنا أقرأ هذه الحكاية الطريفة ارتباط "الجائزة" بالماء/ مادة الحياة ومصدر الخلق والتكوين؛ إذ الجائزة لغة هي أن يعطي الرجل الرجل ماء فيجيز، أي يجوز عنه في وجهته، إنها " شربة الماء" التي تطورت دلاليا لتطلق على كل عطية.

من هنا كانت حاجتي "إلى شربة ماء" تبلل حنجرتي الضمأى،، فقد صرحتُ - في كثير من المناسبات- لأنني أرفض أن أضل أعبر نهر الكتابة، عبورا مجانييا مدى الحياة،، أريد "جائزتي" يا أيها الأمير الحاكم بأمر الحروف أريد " جرعة ماء" قد تقيني شر الأيام القائضة في صيف الكتابة، فهل كثير علي أن أطالب بإنصاف دم المسفوح حبرا مراقا على قارعة الأوراق؟! ... .

أما ارتباط القصيدة الفائزة بمناسبة المسابقة فليست معنيا به، لأنني لم أكتب يوما قصيدة ( حصرية ! ) للمشاركة في مسابقة معينة، أنا ملتزم ولست ملزما، لا موضوع يسطون قلبي وقلمي ما لم يظفر بتأشيرة الفناعة الروحية،، حساباتي القديمة مع المناسباتية(بالمفهوم الاصطلاحي) صفتها قبل أن أقرأ ما كتب العقاد من نقد قاتل حول شوقي في (الديوان) ... .

س- حين أقرئك بأترابك من الشعر الجزائريين الذين هم في مستواك الفني، أجدك قد منحت ليوسف الناقد ما لم تمنحه ليوسف الشاعر، وكأنك تحجب عن رضاك جزءا من شاعريتك!. أيعود هذا إلى اهتمامك بالدرس النقدي؟ أم أن العمل الأكاديمي يطغى على النفس الإبداعية ويقتلها؟ أم أن هناك أشياء أخرى لا نعرفها؟! ... .  
أعترف بأنني قد قصرت في حق نفسي الشعرية، لأنني انشغلت بنفوس الآخرين الإبداعية من خلال ما قدمت من أعمال نقدية حولها، وكنت راضيا على حالي في الحالين ( تتجاذبني الأناية حينًا والأثرة حينًا آخر)، لكن الضربة الموجهة التي تلقاها الشاعر في أعماقي كانت على يد "الدكتور" السفاح،، مصاص الدماء الشعرية!...  
عشت نحو 10 سنوات كاملة في مفازة أكاديمية موحشة شعريا،، كانت-على الشاعر في داخلي- صحراء حقيقية، في كل شيء، في امتدادها الزماني الساحق، في خلائها الروحي، في جفافها الجمالي، في ذاتي الشعرية التي ألزمتها الطقوس الأكاديمية بالإقامة الجبرية بعيدا عما تصبو إليه....  
المؤسف الآن أن الشاعر الذي استنفد عقوبة الأشغال الأكاديمية الشاقة، حين عاد إلى بيته الشعري وجد الدنيا متغيرة من حوله، وهو يحاول الآن أن يتأقلم مع وضعه الجديد ! ... .

هجرة أحلام مستغانمي إلى جمهورية الرواية أغرى الشعراء الجزائريين في تقليد هذا الفعل!

س-ما مصير القصيدة بعد تنامي تيار أنصار الرواية؟! !

تتامي التيار الروائي تسبب في نزوح كثير من أهل الشعر إلى المناطق الروائية الشاسعة، ومن ذلك فإن النجاح الباهر الذي حققته أحلام مستغامي في هجرتها من مملكة الشعر إلى جمهورية الرواية قد أغرى كثيرا من الشعراء الجزائريين بتقليد هذا الفعل!....  
ومع ذلك فلا خوف على الشعر من الرواية، في تقديري.  
رياح العولمة الآن تقودنا إلى عالم إبداعي جديد تسوده " كتابة" جديدة، تنتوع فيها الأجناس وتتجانس الأنواع، لا فضل فيها للشعر على السرد ولا للسرد على الشعر....

**س- هل يعد يوسف وعليسي المؤسس الأول للمرجع النقدي الجزائري؟!**   
لا أدعي ذلك، ولم أفكر في أن أكون الأول أو الثاني حين أخرجت كتابي(النقد الجزائري المعاصر - من اللاتسونية إلى الأسنوية)، لكنني انخطفت قليلا حين قرأت في تقديم الأستاذ الطاهر يحيوي جملا تصف كتابي بأنه عمل موسوعي، وأنه تأسيس للمرجع الأول في تاريخ النقد الجزائري... .  
صراحة، هناك أسماء أخرى تشاطرنني هذا الفعل التأسيسي، بل ربما كانت أسبق مني (لأن كتابي قد نشر سنة 2002، وإن كان قد كتب سنة 1995)، ومن هؤلاء عبد الله بن قرين(في رسالة جامعية غير منشورة)، والراحل محمد مصابف(في"النقد الأدبي في المغرب العربي")، وعمار بن زايد وشربيط أحمد... .  
لكن كتابي قد ينفرد ببعض المواصفات الخاصة، منها أنه يغطي ما يقارب أربعين سنة من الممارسة النقدية الجزائرية، ويعرض لـ 12 منهجا نقديا طبقتها تلك الممارسات، ويؤرخ لمسارات أكثر من 15 ناقدا جزائريا... .  
الملاحظ كذلك هو أنني تعمدت تغييب تجربة أكبر ناقد جزائري على الإطلاق (وهو الدكتور عبد المالك مرتاض) تغييبا نسبيا(إلا في الحالات الضرورية)، وذلك لأنني فضلت أن أختص هذه التجربة العملاقة بكتاب مستقل، وقد فعلت ذلك في كتابي (الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض) الذي نشر في سنة 2002 أيضا.  
**\*يقال إنك توجع بكتاباتك كل المتطعين إبداعا ونقدا!**

ربما كان ذلك في وقت مضى، يوم كنت " حجاج" زماني، يوم كنت متربعا على القلعة الإعلامية، أقطع كل رأس أراه أئع وحان قطافه، وحين غادرت تلك القلعة الخالدة باتجاه هيئة التدريس الجامعي، كتبت مقالة تاريخية بعنوان (خطبة الوداع)، بشرت فيها الخفافيش والفئران برحيل قط كان ينغص عليها أسعد أيام التخريب! ، ثم كان مما لست أذكره... .  
**س- يجمع الدكتور يوسف وعليسي بين الشاعر المبدع والناقد المتميز والأستاذ الجامعي المنتج، وله في كل مجال إسهاماته التي تمثل روافد مهمة في ثقافتنا الحديثة.**  
**فهل حققت هدفك من الكتابة؟!**

ما المسؤول عنه بأعلم من السائل يا صديقي!..  
ليس من طبعي أن أعدد منقابي، ولا من عاداتي أن أحكم على ما قمت به، بل من قمة جنون(البارانويا) أن أقول إنني وصلت إلى نهاية المشوار، وإنني قد حققت الهدف المنشود.... .  
حين أفعل ذلك من الواجب أن أتقاعد إبداعيا، وأن أعلق القلم! (على وزن الرياضي الذي يعلق حذاءه بعد عطاء طويل).  
من الواجب علي(وقد أكملت العقد الثاني من تجربة الكتابة) أن أوصل الرحلة بعزيمة البداية نفسها، أن أجتهد ثم أجتهد، وبعد ذلك من حقي الطبيعي أن أنتشي بسماع جملة(لقد أصبت)، ومن الواجب أيضا أن أصغي جيدا لمن يقول لي بإخلاص (لقد أخطأت)، شريطة ألا يحرمني من أجر الاجتهاد!... .  
هدفي الوحيد يا صديقي هو ألا أتوقف في منتصف الرحلة... .  
**س- قضية الموت والإرهاب الذي اغتال خيرة أبناء الجزائر، وخاصة النخبة الجامعية، ماذا يثير فيك من تداعيات وصور وذكريات؟! ..**

تلك الأيام قد خلت، لا أعادها الله علينا...  
ماض مومع يجعلني أخاف أكثر على حاضر بغداد...  
ما أشبه اليوم بالبارحة، ما أشبه المأساة بالمأساة، يؤلمني جدا أن أرى المحن العربية الإسلامية تتناص، والجراح تتناسخ...  
يقتلني الموت العراقي، أعجز عن الكلام و التفكير إذ أرى أعجاز النخل العراقي الخاوية تتساقط على قارعة الحضارات العريقة... .

**ص- الحسين وكربلاء وردا في أشعارك وأشعار الغماري..**  
هل هو بعث للجزائري الشيعية، وملاذ لها، مادام أهل السنة لم يحققوا ما حققته الشيعة في إيران وجنوب لبنان؟!

أنا مسلم أولا وأخيرا، وفي درجة متأخرة من هذا الانتماء العقائدي أنا مسلم سني، أمقت التطرف والتعصب لأصحاب الملل والنحل المتناحرة، لا فرق عندي بين سني وشيعي (أحب السيد حسن نصر الله بمقدار حبي للشيخ يوسف القرضاوي، وأحب الشيخ حارث الضاري بمقدار حبي للسيد مقتدى الصدر...)، على الرغم من أنني لست عضوا في "مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية" ! .... .

الكارثة في بعض الثقافات المتطرفة أنها لا تستغرب توظيف الشاعر المسلم لأساطير العهد الإغريقي أو الفينيقي أو خرافات الشعوب الأخرى، بل ربما تمتدح استنصاحه لحادثة وهمية كقصة صلب المسيح وقتله، ولكنها تقم الدنيا و لا تقدها إذا عثرت في نصك على الحسين وكريلاء وأهل البيت،، لقد كابدت مثل هذا التنطع يوم كتبت قصيدة تقليدية غير عادية مطلعها :

"شوق انتظارك قد كواني يا صاحب العصر والزمان"

وظفت فيها الإمام الثاني عشر في الثقافة الشيعية (المهدي المنتظر)، المعروف في الأدبيات الشيعية باسم (صاحب العصر والزمان)، وظفته رمزا للخلاص في هذا الزمن الموبوء، ويرغم أن المسلمين جميعا (سنة وشيعة) يؤمنون برجل يأتي في آخر الزمان ليملا الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت جورا وظلما (مع فارق بسيط بين الطائفتين : مجيء أم عودة بعد غيبة؟! )، فإن بعض عشيرتي الأقربيين قد استكثروا علي النهل من هذه "الموارد الشيعية" الفياضة، وحسبوا هذا الفعل إنذارا بفعل من قبيل "ثم اهتديت ! ! ! ! .

من حقي أن أعجب -أيما إعجاب- بقصيدة (أعجبت بي) التي يتغنى بها مهيبار الديلمي بقوميته الفارسية ودينه الإسلامي معا، وأزداد طربا لها حين أسمعها بصوت الفنان (العربي) الخالد محمد عبد الوهاب.. ومن حقي أيضا أن أتغنى ببطولات (حزب الله) وملاحم الجنوب اللبناني...

أتصور أن الاستثمار الشعري في الثقافة الشيعية مريح جدا، بالنظر إلى الغنى الفني والوجداني الذي تكتنزه؛ فالمشاهد الكربلائية الجنائزية المتكرر في يسير آل البيت، و المظالم التي عاشها الأئمة الإثنا عشر، والملحمة الخرافية الساحرة التي تلف حكاية المهدي المنتظر،... كلها تعري بالارتداء الشعري في هذه الأحضان الوجدانية الدافئة...

هل تصدق أنني (وأنا الشاعر المسلم السني، مرة أخرى للتأكيد !)

كثيرا ما تتساجم دموعي وأنا أسمع "الراد ود" الشيعي يردد مواويل آل البيت، أو أسمع الشيخ عبد الحميد المهاجر، في (الأثوار)، يقص يسيرهم الحزينة، فيبكي ويبكي.. بل يكفي أن أرى صورة مقام الحسين أو الهادي أو العسكري حتى ينقبض القلب وتلتاع الروح (لأسباب وجدانية إنسانية قبل أن تكون دينية!)، بحكم أنني كنت أرتاد في طفولتي أضرحة الأولياء والصالحين، ولا أزال أتذكر المشاعر الطريفة الغربية التي كانت تتملكني حينها... . أما الصديق الشاعر مصطفى الغماري فقد كان رائدنا في اكتشاف هذا المعين الشعري العذب (وقد أخبرني ذات يوم أن ديوانه "بين يدي الحسين" كان يوزع في مجالس العزاء الحسينية).

فلا علاقة لهذه المسألة -إذا- بالجزائر الشيعية (التي لا أعرفها إطلاقا!)، ولا بالطائفية أو المذهبية... . المسألة -وما فيها- شعرية وجدانية، تدرج في إطار توسيع موارد "الماء الشعري" في تجربتي الإبداعية، والانفتاح على ثقافة الجار الذي يقاسمك الانتماء والمصير... .

© مخبر وحدة التكوين و البحث في نظريات القراءة و مناهجها.

جامعة محمد خيذر بسكرة، الجزائر. 2009

<http://labreception.net>